● بقلم: قاسم حول ●

* الفقر التقني يتحول الى اسلوبية سينمائية مع "عمر اميرالاي" وفيلم "فيلم الحياة اليومية في قرية سورية"

تخصص «الهدف» صفحتي الثقافة والادب هذا الاسبوع للسينما.

ان فن القرن العشرين ذو تأثير كبير على الجماهير الواسعة، وهو اذا استعمل ضمن برامج العمل السياسي والاجتماعي بذكاء وفطنة، فان نتائجه ستكون على درجة كبيرة من النجاح.

تتحدث المواد المنشورة هنا، في مقابلة مع مخرج سوري شاب عن تجربة رصد حياة الفلاحين في قرية سورية، وعن الشاعر السينمائي الايطالي التقدمي بازوليني نقترا كيف تفحص، في اغلب افلامه، الحياة الواقعية القديمة البؤس للبروليتاريا ومحاولات التسلق الطبقي التي مارسها بعض افراد هذه الطبقة كنوع من رفض الواقع. ويتحدث تعليق عن الافلام الرخيصة التي يغرق فيها سوق التوزيع السينمائي في الشرق الاوسط والاحمر، لبنان. اضافة الى اخبار قصيرة.

ونعد قراءنا بتقديم مواد اخرى في اعدادنا القادمة حول السينما الثورية في العالم ودورها في تعميد الوعي الطبقي والثوري لدى الجماهير.

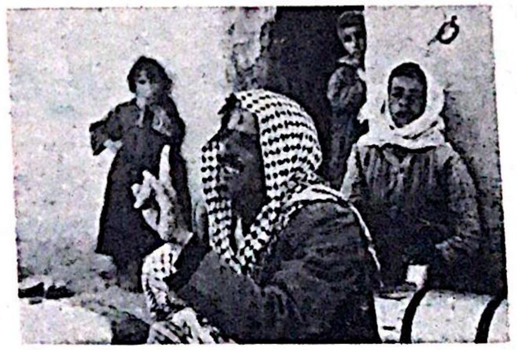

فلاحون يتحدثون في فيلم الحياة اليوميه في قرية سوريــة

المخرج يساعد المصور فــي تسجيل احدى اللقطــات

اخذت السينما الشابة تجد مكانها في كـل مكان رافضة لتلك الصفقات التجارية التـي استهدفت شباك التذاكر .. واضافة الـى محاولات الشباب في عكس مضامين هادفة عبر احداث من صميم واقع حياة شعوبهم، فـان اشكالا جديدة طموحة قد حققوها للتعبيـر عن تلك المضامين .. هذه الاشكال وتلك المضامين تتسم بالجرأة والوضوح واتخاذ مواقف الرفض ازاء ما يبدد تطلعاتنا من اشكال الاسيجـة واساليب التضليل.

وفي عالمنا العربي وبعد سنوات من سينما كاذبة وبعيدة عن واقع الحياة تاتي ايضا سينمـا جديدة ورافضة للاشكال المتوارثة التقليديةوالتي شكلت النموذج المألوف للفيلم السينمائي ...

هذه المحاولات تشق طريقها ببالغ الصعوبة ضمن ظروف سينمائية قاسية، واجتماعية وسياسية اكثر قسوة - وهنا فقط تكمن اهمية هـذا البزوغ.

ولقد ادركت سينما سوريا هذا البزوغ الشاب واهميته في امكان خلق انعطاف جديد وهـادف في السينما العربية فسعت الى اتاحة الفرص لسينما الشباب ضمن امكاناتها، واكثر مـن امكاناتها في بعض الاحيان محاولة ان تصل واياهم لما يخدم تطلعات انساننا الجديد ضمن واقـع حياتنا الصعب.

وضمن محاولتنا لرصد سينما الشباب فـي سوريا نلتقي هنا مع محاولة لانتاج فيلم بعنوان «الحياة اليومية في قرية سورية» قام بهـا السينمائي (عمر اميرالاي) بالاشتراك مـع المسرحي (سعد الله ونوس).

يقول عمر اميرالاي:

الفن يجب ان ينطلق ليعبر عن احاسيس اكبر قاعدة من الناس، وفي العالم الثالث عمومـا وفي بلادنا بشكل خاص يشكل الفلاحون هـذه القاعدة الواسعة .. علينا في هذه الحالة ان نبحث عن مشاكلها وتحديد الموقف الواعي ازاء هذا الوضع.

هناك نقطة واضحة ضمن هذا الواقع الا وهي محاولة عزل المدينة عن الريف، اعني محاولـة حجز الحالة الاجتماعية في الريف، واخفائهـا عن تطلع انسان المدينة وتحركه.

هنا يجب ان يقوم الفنان بدوره السياسـي والتاريخي.

وموقف الفنان هنا موقف سياسي واع.

كنا ندرك انا وسعدالله ونوس بان التجربة ليست سهلة على الاطلاق.

● وبالمناسبة، ما هو دور سعدالله ونوس في الفيلم ؟؟

- انه عمل مشترك .. عملية تاليف مشتركة بينه وبيني ..

... وهذه التجربة دعتنا الى معايشة القرية في حياتها اليومية لعكس حالـة الفلاحين، الصحية - الاجتماعية - المعاشية ... الخ. مقتنعين بان اختيار هذا الموضوع يمكن ان يعكس حياتهم ويسبر اغوارهم وبالتالي يمكن للفيلـم مدته تسعين دقيقة ان يعكس هذه الحيـاة ليؤثر فيها.

... في البداية كان هناك تصور معين لوضع القرية واسلوب حياتها، كان، تصوري منطلقـا من مفاهيم عامة. افهم بعد ان وعيت ان الحياة قاسية هناك وصعبة نتيجة لتوالي تسلط الاقطاع في فترات سابقة ولكن بعد ان اصبحنا ضمـن الناس تفجرت امامنا يوميات كاملة التفاصيـل والدقائق ..

قالوا لنا عندما كنا صغارا ان الريف عالـم جميل، تزقزق فيه العصافير، والمزارع يجول فيها مترنما تحت سماء زرقاء .. انه الريـف النورماندي .. هكذا كان ريفنا في «قراءتي».

دخلنا القرية

... دعني اتحدث مرحلة مرحلة لندخل بعدها في الشكل السينمائي الذي جرنا اليه الواقـع فاقادنا ..

لم تكن ثمة حقائق ووثائق ننطلق منها فـي بحثنا .. في فيلمنا، فانطلقنا من الصفر ... حاولنا ان نبحث عن مراجع وكان من المستحيل ان نحصل على كراس او دراسة علمية مقرونـة بالارقام والوقائع ... مثلا .. كنا نريد انـنعرف عدد السكان ..

● الاحصاء يعطيك رقما ..

● المختار يعطيك ضعف الرقم ...

● نصف الرقم يعتقده المزارع ..

● واتحاد الفلاحين يعطينا حلا وسطـا بينهما ..

... كان واقعا جديدا بالنسبة لنا .. وكـل وثيقة سجلناها كانت بالنسبة لنا اكتشافا ... كانت عملية (تلمس) للواقع. اردنا الحصيلة العلمية قبل مواجهة الواقع ...

مهمتـــان

... المهمة الاولى كانت القيام بهذه الدراسات وتنسيقها ودراستها ... والمهمة الثانية دخول الكاميرا نحو عوالم المزارعين وتسجيـل ردود الافعال الافعال لنخرج بهدف تحليلي وعلمـي عن واقع الريف، وعمل كهذا لا بد وان تستنفد لتحقيقه قرابة العشرة شهور بمعايشة يوميـة باسلوب انتاج وعمل سينمي مغايرين جذريـا للاسلوب التقليدي.

● عمل كهذا محكوم عليه مسبقا، انمسيحمل ثغرات كبيرة علميا وماديا، فلم يكن ضمن برنامج المؤسسة ان تتناول الفيلم الوثائقي الطويل ... كانت الافلام الوثائقية سياحية واعلامية انتجت ولحققت ضمن اسلوب تقليدي .. وكانت قصر الفترة التي عشناها بسبب تحكم اسلوب الانتاج قد انعكست على حصيلة الوثائق التي جمعهـا الفيلم.

المعوقات خلقت التجربـــة

... الثغرات التي انوجدت في عملنا سوف لا نتركها في الفيلم .. سنحول الفيلم الى اسلوب فتح حوار مع المشاهد ضمن عمل يجمع بيـن السينما والتلفزيون، بمعنى اننا سنسمـح لانفسنا باستعمال اية وسيلة تعبيرية لتوضيـح وتحقيق الفكرة .. الندوة التلفزيونية .. وسائل الايضاح عموما ... جداول احصائية، صـور فوتوغرافية .. كذلك طريقة التقديم ستكـون على شكل ندوة لشرح المراحل .. كيف صنعنـا الفيلم ؟؟ لماذا ينقص المشهد كذا النمـوذج او الصورة المطلوبة ؟؟

... اننا سنفتح حوارا سينمائيا مع الجمهور مستفيدين من نظرية التغريب عند برخـت، وسيرى المشاهد مراحل العمل ويطلع سينمائيا وبشكل واع على الثغرات العلمية والفنية، لنكون بهذا قد حققنا الامانة العلمية المساوية للفيلم».

● مثلا ..

... الريف مرتبط بذهن المشاهد وكشيء حياتي ان نطلع على حفلة عرس في القرية ... سنذكر للمشاهد انه لم يحصل عرس خـلال تواجدنا لان الغلة غير موزعة بعد ولهذا لم يحصل زواج ..

.. ثغرات الاحداث .. وثغرات الرصـد السينمائي، تصبح بهذا جزء من اسلوبيـة العمل.

حوار دائم

.. لم يكن لعملنا حدود ... كانت عمليـة بحث ونقاش ومن ثم تحديد خطة عمل للتنفيذ.. كانت عملية حوار دائم واتفاق على نتيجـة واحدة ... كنا (انا والاخ سعدالله) نبحث في الكادر والزاوية وعبرهما لتحقيق عملنـا المشترك .. نفسان في عمل واحد .. فكريا، وتكنيكيا.

الفنـــان

... موضوع كهذا لا شك يتطلب احساسـا فنيا يتميز به كافة العاملين في الفيلم ... ناخذ مثلا (نبتة القطن) ... نبتة القطن بالنسبـة لي ليست نبتة مزروعة فحسب، فمن خـلال تحليل الواقع الانساني للمزارع تشكل نبتةالقطن مادة الحياة الاساسية ... هي كل حياة المزارع في تلك المنطقة وهي محور حياته اذا مالت ولـم تكبر مالت حياته ايضا وسيشرب مثلا الشاي الصيني في تلك السنة بدلا من الشايالسيلاني !

... عليه، فان حسا فنيا لا بد من ملازمتـه للفنان ازاء الاشخاص والاشياء.

الامكانات التقنية

.. عاقتنا الامكانات التكنيكية كثيرا، ويمكن القول ان ابسط قواعد العمل السينمائي هـي التصوير صوتا وصورة وفي وقت ظهر فيـه الصوت الى جانب الصورة منذ اوائل الثلاثينات الا اننا لم نوفره ونحن في عام ١٩٧١، وان نظام العمل (السنكروني) يخدم كثيرا في سرعـة التحرك والتسجيل الحي للوثيقة، لقد كنـا احوج ما نكون الى سرقة احاسيس الشخوص، بينما ارعبنا المزارع بذلـك الجهاز الاسود (المعمم) ... الكاميرا .. والقطعة الخشبيـة المخططة (الكلاكيت) فقتلنا بهما الوثيقة والحس الدقيق. صار المزارع يخاف من تعقيد الالات اكثر من خوفه من الحوار والاجوبة .. بحثنـا عن حلول بدائية لتلافي ذلك ولكننا لم نحصل على نتيجة .. فحولنا هذه المتاعب الى اسلـوب من اساليب تجربتنا السينمائية هذه.

الفيلم في صالات الدرجة الثالثة

... نطمح ان يعرض الفيلم في صالات الدرجة الثالثة فانه مصنوع لهذا الجمهور .. جمهـور الطبقات الكادحة (اذا) ما توصلنا لتحقيـق ما كان يدور باذهاننا ..

نحاول ربط الاحساس المشترك بين النـاس المسحوقين في الريف ومثلهم في المدينة .. ذلـك ربط الطبقات الكادحة ببعضها انطلاقا من وضع اجتماعي واقتصادي وسياسي واحد.

(نحاول ذلك عبر محاولتنا الخجولة هذه).

* المخرج بازوليني شاعر البروليتاريا الدنيا

يزور دمشق المخرج السينمائي الايطالـي «بيير باولو بازوليني» بدعوة من النـادي السينمائي، وسيعرض خلال زيارته مجموعـة من افلامه تمثل التطور السينمائي لهذا المخرج، وسيناقش جمهور المشاهديـن هذه الافـلام مستطلعين وجهة نظر بازوليني فيها.

تعود علاقة بازوليني بالسينما الى ابعـد من عام ١٩٦١، عام فلم «اكاتونه» فقد بدأ الشاعر حياته العملية كسيناريست ... وعندما انضـم الى عالم السينمائيين كمخرج في اعوام ما بعـد ١٩٦١ كانت الواقعية الجديدة تشرف علـى نهايتها. ولكن لقاءهالذي كان محرضا معالواقعية الجديدة بين «الانا» و«الواقع» استحـال عنده الى علاقة حية وعضوية.

وبازوليني المخرج يكتب افلامه وموضوعاتهـا بنفسه، واحيانا يقوم ببعض الادوار فيهـا، وهذا ناتج عن طبيعة تكوين الشاعر النفسـي وطبيعة علاقته المريرة مع الواقع الحي الـذي يحيطه ويحيا هو ضمنه.

ولد بازوليني من عائلة فقيرة في منطقة مـن شمال ايطاليا هي «الفريولي» المتاخمة الـى يوغسلافيا، وهي من افقر مناطق ايطاليا قاطبة الى جانب بعض مناطق الجنوب. وقد انهـى دراسته الجامعية وسط صعوبات مادية عديدة وانتقل بعدها مع امه (وكان ابوه ضابـط الجيش قد مات، وكذلك اخوه خلال حـرب المقاومة ضد الفاشست) وقد اثرت هـذه الحادثة كثيرا في نفس الشاعر المتوحدة ... انتقل بازوليني بعدها الى روما العاصمة حيث بدأ حياته العملية مدرسا في احدى المناطـق البائسة التي اتجه تلقائيا للسكن فيها، ومـن ناحية اخرى فقد ادى تطور احتكاكه العملي مـع العالم المتحضر خارج تلك المناطق البائسة، اي مع عالم البورجوازية التي كانت تعيش مرحلـة الاشراف على انهيارها، ادى الى نمو شعـور القنوط الحضاري لديه، لكن هذا القنوط كان يجد له على الدوام منفذا ومخرجا من العالـم الذي كان محيطا عمليا وفعليا للشاعر الا وهـو عالم البروليتاريا الدنيا، وقد سمي بازولينـي بالفعل بعدها شاعر البروليتاريا الدنيا، وقد جاء فلمه الاول «اكاتونه» ليعبر عن التخبـط الحضاري والمادي الذي تعيشه هذه الطبقة، كما يمكن استنتاج ذلك من خلال قصائد وروايـات بازوليني.

عندما كان بازوليني في اول السلالم كانـت الوسائل الميسرة له قليلة الى حد بعيـد، كان يصور ببضع عدسات تـتراوح بين ٥٠ وال ١٠٠ ولا تتعدى الثلاث او الاربع عدسات مع اضواء فقيرة وكاميرا قديمة، ما زالـت حتى الان كاميرته المفضلة، لكنه، وبامكاناته الفكرية، استطاع ان يخلق بهذه الوسائـل القليلة ان يخلق ما سماه النقاد منذ العـرض الاول لاول فيلم اي «اكاتونه» - بالقداسـة التكنيكية -. استطاع هذا المخرج الشاعـر ان يبرز مضامينه بكامل امتلائها التعبيـري، وهذا واضح كذلك في فيلم «انجيل متى الثاني» وفيلم «ماما روما» ... ويجدر الانتباه هنـا بصورة خاصة الى الطريقة الاصيلة التياتبعها بازوليني في المونتاج، انه يعكس تصوراته للعالم بكاملها .. ومن تيسر له فرصة قراءة احـدى روايات او قصائد المخرج سيتأكد من هـذا الامر ... انه يرى الاشياء والوقائع بصـورة مباشرة، يرى الواقع من خارجه ويحيا منداخله بدقائقه، كما انه بعيد عن ان يرى السينمـا في صورها «المطاطة» التي تصل الاحـداث المرويه بطريقة بعيدة عن الواقع. انه باختصار قد وجد طريقا اصيله وفريدة مـن نوعها في التعبير، وقد امتد هذا لديه من طريقة كتابـة السيناريو وفهم الموضوع الى طريقة التصوير في ادارة الممثلين واستعمال العدسات الـى طريقة المونتاج، اي باختصار الى ابداع «سينما خاصة به». ونامل ان يتمكن المشاهدين فـي دمشق وكذلك بيروت (حيث سيزورها المخـرج ايضا) من تكوين صورة متكاملة عن عالم بازولين الشاعري بدءه من «اكاتونة» وانتهاء بـ «اوديب ملكا» و«بوربما».

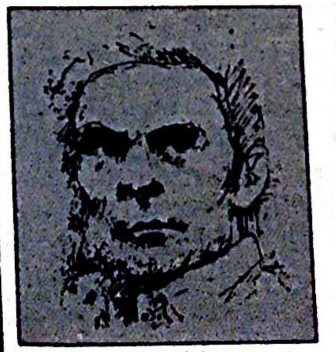

بيير باولو بازوليني

* الى متى يبقى المشاهد اللبناني أسير الفيلم الرخيص؟

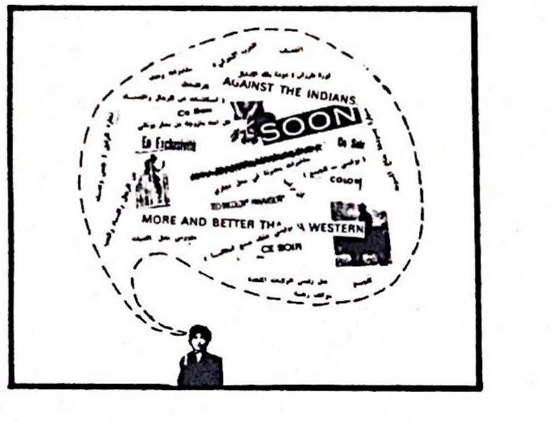

لا شك ان هناك عددا كبيرا من الافلام الهادفة والتي تملك شكلا تقنيا متقدما، الا ان فرصـة مشاهدة هذه الافلام غير متوفرة ليس في بيروت فحسب انما في العالم العربي تقريبا، والسبب يعود الى هيمنة تلك الشركاتعلى شركات التوزيع ايضا، فان موزعي الافلام السينمائية في بيروت هم نفسهم موزعو الشرق الاوسط، وان كبريات شركات التوزيع في العالم تتعامل مـع الشرق الاوسط عن طريقبيروت، وكذلك فانها بالضرورة تهيمن على دور السينما في المنطقة وتوقعها تحت نفوذها.

ازاء هذه الحالة، وازاء رغبات الجمهـور بالتعرف على ما تقدمه السينما الطليعية سعت بعض المؤسسات السينمائية الرسمية في بعض الاقطار العربية الى الاتصال مباشرة بمنتجي هذه الافلام، وتم فعلا استيراد عدد غير قليل منها الا انها لم تحض بمشاهدة جمهور واسع، ويعود السبب في هذا الى «الاعتياد»، فان السينما الاميركية التياغرقتالسوقالعربية خلال الثلاثين عاما السابقة نوع خاص من الافلام قد خلـق لدى المشاهدين اعتيادا بشكل ومضمونواسلوب المعالجة التي طرحتها تلك الافلام حتى غـدت الافلام الطليعية الجديدة غريبة عن المشاهـد وهو بهذا يحتاج الى وقت غير قليل كي يالف هذا النموذج ويرفض الاخر. واذا كانت بعض المؤسسات الرسمية قد حققت هذه البداية (وان لم تكن المحاولة جذرية ومتكاملة) فان لبنان لا يستطيع ان يوفر لمشاهديه هذه الفرصة باستثناء الاسابيع السينمائية التي تنظمها الملحقيـات الثقافية بين الحين والاخر وكذلك نادي السينما وهنا ياتي السؤال التالي «الى متى يبقـى المشاهد اللبناني اسير الفيلم الرخيص ؟!»

لما لم تكن لشركـات التوزيع «قـدرة» و«امكانية» توفير الفيلم الهادف فانالصحافة يجب ان تلعب دورها في فضح الاتجاهات الموجهة لتشويش تطلع المشاهد وتحركه الجديد، لان ما تقدمه صالات السينما في بيروت يلعـب دورا كبيرا في بث التفسخ والانحلال في روح الشباب وابعاده عن قضاياه الاساسيه في هذه المرحلـة الدقيقة التي تمر بها الامة العربية.

ان دور الصحافة هنا يمكن بمرور الزمـن ان يوفر وعيا سينمائيا لدى المشاهد وانهبالتالي سيؤدي الى تقليل عدد مشاهدي هذه الافـلام ليوقع شركات التوزيع تحت ضغط تكون مضطرة ازاءه لتوفير الفيلم الجيد الهادف، كما ان المشاهد مطالب في ذات الوقت الى ادراك اللعبة التي تمارسها دور السينما في تشويه القيـم والمثل البشرية ومسخ ارادة الناس وتطلعهم، وفي ذات الوقت فانه لا بد مـن وضع قوانيـن وتعليمات خاصة وصارمة تحد من استيـراد الافلام غير الهادفة وتملك صالات خاصة لعرض الافلام الهادفة، والافلام الفنية غير التجارية، لشد اليها جمهورا خاصا سيتسع يوما بعد اخر بعد ان يالف الفيلم الجديد ليصبح موضـوع تاميم استيراد الافلام ضرورة لا بد منها.

(...)

توالي دور السينما في بيروت عرض الافـلام الجنسية التي تخلو من اي مضمون، انما مجرد علاقات مصنوعة ومفتعلة لزج الشخوص فـي مشاهد جنسية رخيصة.

والسينما الاميركيـة التي تهيمن عليهـا الرساميل الصهيونية تسيـر وفق اتجاهات تستهدف الاطاحة بكل تطلع بشري، ليتم تسويقها الى كثير من الاقطار وفق دراسة دقيقة تعتمد الاحصاءات واستطلاع وجهات النظر من خـلال ما تكتبه الصحافة بهذا الشان.

ومنذ التصفية «المكارثية» بين صفـوف الفنانين التقدميين في هوليوود وضع هذا الاتجاه ضمن اتجاهات كثيرة منها افلام المغامـرات والقصص الاجتماعية الميلودرامية ... ثم نقلت الخطة نحو الافلام التي تنتج خارج هوليـوود - اميركا - ونجحت الى حد في شراء كثير مـن الامكانات وهيمنت على ستوديوهات السينمـا في ايطاليا، وفي الهند بشكل واضح حتى غطت نتاجاتهم هناك على المحاولات الجادة التي يقـوم بها السينمائيون التقدميون والذين يفضحـون في نتاجاتهم تلك، الواقع المتردي الذي يعيشه السكان تحت هيمنةوتسلط البرجوازيينواصحاب المصانع، كما تشير بوضوح الى جيشالعاطلين الذين ياكلهم الجوع والمرض.

ان اتجاه شركات الانتاج في تصوير العلاقـات الشاذة انما يستهدف تخدير المشاهد في محاولة لوضع الغشاوة بينه وبين واقعه وانهـاء روح التمرد والثورة على هذا الواقع.

ترى هل يقبل المشاهد هذا اللون الاخر مـن الافلام لو توفرت له ؟!

● ثلاثة اخبار سينمائية

■ عقد خلال هذا الاسبوع في ايطاليا مهرجان للافلام الثورية الـذي تشـرف عليـه لجنة سينمائيي العالـم الثالث، ويعتبر المهرجان تظاهرة سينمائية لهـذا النوع من الافلام تم خلاله تبادل وشراء الافلام القصيرة وتوزيعها على دور السينما لاتاحة الفرصة لاكبر عدد مـن المشاهدين الاطلاع عليها.

■ وخلال شهر تشرين الثاني من هذا العام ايضا سيقام في مدينة «لايبزغ» مهرجانا للافلام التسجيلية القصيرة تحت شعار «افلام العالم من اجل سلام العالم» تمنح فيها جوائز ذهبية وفضيـة لاحسن هذه الافلام.

■ اما مهرجان طشقند الذي يعقد مرة كل عامين تحت شعار «من اجل الحريـة والسلام والتقدم» فـسيعقد فـي شهـر ايلول من العام القادم بعد ان تم تاجيله العام الفائت بسبب الكوليرا. هـذا المهرجان خاص بافلام اسيا وافريقيا.